الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزراة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (ف1+ف2+ف3)

الحصة التطبيقية الثانية:

السيرة النبوية لابن هشام

الحصة التطبيقية 02

السيرة النبوية لابن هشام

تمهيد:

إنّ السيرة النبوية المطّهرة تُقدّم للبشريَّة منهجًا شاملاً راقيًا تتعامل به في كلّ جوانب حياتها؛ لتنال السيادة والتكريم في الدنيا، والسعادة الأبدية السرمدية في الآخرة؛ لأنّه ليس منهجًا يَعتمد على نظريات بشريَّة، أو قوانين أرضية، أو مبادئ وضعيّة، وليس نتاج دراسات أو أبحاث لا تمثل في مجموعها حقائق معصومة؛ إنه منهج رباني قد حاز مقام العصمة والكمال في مصدره ومرجعيته، كما حازها في تطبيقاته وتأويلاته؛ فالمشرّع هو الله الحكيم العليم الّذي تكاملت حكم أحكامه، وبلغ شرعه الذرى في إحكامه، ووسع عِلمُه كلّ شيء وأحاط به، والمنفذ هو من نطق بالوحي قولاً وعملاً، وعُصم من الزلل والخلل ظاهرا وباطنا.

أولا- الخصائص السردية في كتاب السيرة النبوية لابن هشام

كان لابن هشام منزلة بارزة بين معاصريه، لما كان له من قدم راسخة في العلم وباع طويل في التأليف والتصنيف وقدرة فائقة على التطويف في هذه الآفاق الرحبة، الّتي يعيش فيها قارئ كتبه، والمطلع على جليل آثاره، ولعلّ من أهم ما لفت نظرنا إلى مؤلفات بن هشام وجلال قدره كتاب السيرة النبوية الّذي تناول فيه أدّق تفاصيل حياة الرسول الزوجية والنبوية وكلّ مايدور حوله من طفولته ونشأته وغيرها مستخدما فيه طريقة سردية فريدة من نوعها تابع من خلالها أدّق الزوايا وأضيقها، فقد أثار ذلك في نفسنا رغبة دافعة إلى دراسة ابن هشام ومنهجه السردي من خلال كتابه "السيرة النبوية" وصولا إلى أسرار هذا الكتاب الفريد في تناوله، قصدا إلى تحليله تحليلا يصل بينه وبين قرائه ويقرب إليهم تلك الثمرة المرجوة من ورائه، وكانت هذه الغاية في سموها وعلو شأنها خير مشجع لذلك.

1-الأنساق البنائية للحدث في السيرة

يسعى الراوي إلى التفنن في أحداثه وسردها ناسجا خيوطا جمالية لاضفاء الروح والحيوية على النص ويعرف النسق على أنّه الهيكل البنائي الّذي يعتمده الراوي في ارساء مرويه أي هو الطريقة الّتي يختارها الراوي في ايصال الأحداث للمروي له، متتبعا لذلك عدّة طرائق، تارة يسعى إلى عرضها

بأسلوب تتابعي منطقي وتارة أخرى يعرضها بشكلّ تضميني دائري أو فوضوي، وهكذا على وفق ما يراه منسجما مع نصه السردي الّذي يشتغل عليه[1].

تأتي أهمية النسق بوصفه عنصرا بنائيا من أنّ الأحداث لايمكن لها أن تنسجم أو تنتظم من دون أن تبنى وفق أنساق معينة، ومن الأنساق السردية للحدث الّتي حاولنا استنباطها ضمن كتاب سيرة بن هشام مايلي:

أ- نسق التتابع:

يعد هذا النسق البنائي من الأنساق الّتي عرفت منذ زمن طويل وقد هيمن مدة طويلة على فن القصة بمختلف أجناسه، فقد كانت الأحداث تقدم للسامع بنفس ترتيب وقوعها أي سردها وبحسب ترتيبها الزمني وفي هذا اللون من الأنساق التداولية تتم فيه رواية أحداث القصة مقطعا بعد مقطع دون أن تتداخل أحداثها مع أية قصة أخرى، وهو على ذلك من أكثر الأنساق شيوعا وبساطة، إذ يسعى الراوي إلى سرد الأحداث بشكل خيطي متسلسل مخضعا بناء الحدث لمنطق السببية، فالسابق يكون سببا للاحق، ويظل الروائي ينسج حبكة النص صاعدا إلى الأمام بشكل أفقي فيتأزّم المتن الحكائي، ثم تنفرج في النهاية يغلق فيها الراوي النص.

وقد جاءت أكثر أخبار ابن هشام مناسبة بشكل تتابعي، قدمها لنا الراوي وفق هذا النسق البنائي، ولعلّ من أبرز خواص الخبر وأهمها هو تأكيد الراوي على نقل الواقعة الاخبارية نقلا تتابعيا دون حدوث أية انحرافات بارزة في بنيته الزمنية، ومن أمثلة هذا ما يعرضه ابن هشام في التسلسل الزمني للأحداث فهو يسرد الأحداث متتابعة في المقطع الأول في خبر ولادته ﷺ إلى خبر عصمته له في طفولته[2].

وهكذا يستمر الراوي في نقل الخبر وفق تسلسل منطقي دون ملاحظة أي خلل زمني، بل مضت الأحداث بشكل طبيعي ومنطقي.

ب- نسق التضمين

وهو من الأنساق البنائية الّتي يعتمدها الكاتب وسيلة لعرض أحداث قصته للمتلقي، وهذا النسق يقوم على أساس نشوء قصص كبيرة في إطار قصة قصيرة واحدة ويوظف الراوي هذا اللون من الأنساق محاولة منه لسد فراغ داخل العمل السردي من جهة، وبحثا عن التنوع في طريقة العرض القصصي من جهة أخرى دفعا للملل، وفي نسق التضمين تتفرع عن القصة الأم قصص أو قصة أخرى فرعية إلّا أنّ

[1] جعفر جمعة زبون، بناء الحدث الروائي في نظرية السرد والسيرة النبوية، ص3

[2] المرجع نفسه، ص4

التعدد القصصي هذا ليس مشروطا بتعدد الرواة، فبإمكان راو واحد أن يعقد علاقات بين مقاطع حكائية مختلفة كما حدث عند ابن هشام، ولا سيما وإن كان الكاتب ممن يمتلك الموهبة القصصية والدقة في اختيار الموضع الّذي يعمد فيه إلى توليد القص، مما يسمح بدوره في نشوء سرد كثير يتفرع من القصة الأولى إذ تنمو القصص ويتضخم النص وتزداد الدلالة.

لقد تميز تراثنا السردي القديم بأسلوب التضمين والتفرع عن الإطار العام، وهذا ما يمكن ملاحظته في كثير من أحداث السيرة كما يذكر ابن هشام في خبر حديث النبي ﷺ عن عصمة الله في طفولته وحرب الفجار ونشوب الحرب، وما يورده ابن هشام في أحداث غزوة بدر وكيفية مقتل أمية ثم يضمن الحدث بذكر شهود الملائكة ثم يسرد مقتل أبي جهل ثم يضمن الحدث قصة يسرد فيها شعار المسلمين في بدر ويعود إلى مقتل أبي جهل..... وعند هذه النقطة السردية يعمد الراوي إلى اختيار الموضع الّذي يسوق فيه قصته الثانية ليثبث من خلالها صدق الخبر في أحداث بدر وما كان من أحداث كثيرة متتابعة يضمنها الراوي بأحداث تضمينية[1].

ج- النسق الدائري

ويراد به أنّ الأحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية إلى نفس النقطة الّتي بدأت منها وهذا النسق غالبا ما يأتي ثانويا، وما يمكن ملاحظته في أخبار السيرة أنّ ابن هشام يعمد إلى نسج أحداثه وفق هذا البناء والشكل المروحي ومن ذلك ما نجده في خبر حمس إذ أنّه يبتدأ الخبر عن الحمس وينهيه عن الحمس أيضا، وهذا هو نسق السرد الدائري كما جاء في النص:

«وقد كانت قريش، لا أدري أقبل الفيل أم بعده، اتبعت رأي الحمس..... فقالوا: نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ماتعرف لنا فلا تعظموا شيئا من الحلال كما تعظمون من الحرام، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد الحل مثل ماعظموا من الحرم.....»[2]. ويبقى ابن هشام في سرد خبر الحمس حتى ينهيه أيضا في خبر حكم الحمس في الاسلام.

[1] جعفر جمعة زبون، بناء الحدث الروائي في نظرية السرد والسيرة النبوية، مرجع سابق، ص 4

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ط3، 1410هـ/1990م، ص 22

ثانيا- أنماط التواتر السردي في السيرة النبوية لابن هشام

1- **السرد المفرد:** وفيه يقوم الراوي بسرد ما وقع مرة واحدة، ويطلق على هذا اللون من الحكايات اسم الحكاية التفردية ومن أمثلة ذلك ما نلحظه فيما ذكره ابن هشام حول الملكين الذين شقا صدر النبي ﷺ.

2- **السرد المكرر:** وفيه يقوم السارد برواية ما وقع مرة واحدة، أكثر من مرة ويسعى إلى الحكاية التكرارية، ومن ذلك ماورد في تكرار خبر مبعث النبي إذ ذكر في السيرة كثيرا.

3- **السرد الاختزالي:** وفيه يقص السارد مرة واحدة ما وقع لأكثر من مرة، ومن نماذج ذلك خبر الغزوات واختزاله لها.

ثالثا- منهج ابن هشام وخصائصه السردية في بناء السيرة النبوية

تميز ابن هشام في تأليفه للسيرة النبوية بمجموعة من الخصائص والمميزات، كما رسم لنفسه منهجا فنيا في الكتابة السردية والّتي جعلته ينفرد بكتاباته وهي كالتالي:

- ذكر النسب النبوي بالكامل، قال: "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شيبة بن هاشم واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف...إلخ"، إلى أن يصل إلى الجد العشرين للنبي، وهو(عدنان)، وما بعد عدنان ليس جدًّا للنبي وليس صحيحًا.

- ذكر أنه سيبدأ كتابه بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله من ولده، وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، مع الاختصار في المعلومات والعرض والتأريخ لهم في تسلسل وترتيب.

- يتدخّل بالحذف، وخاصة مما هو ليس فيه ذِكْر للرسول وآله، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس عليه شاهد، ولا تفسير له.

- يدعم الروايات بالاعتماد على القرآن الكريم كمصدر أساسي.
- قام بحذف الأشعار الّتي لم يعرفها أحدٌ من أهل العلم، حيث إنّ بعض الشعر يَشنُع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره، والبعض لم يُقر له البَكَّائِيّ بروايته.

- يعتمد على منهج الاستقصاء المحكوم بالرواية والعلم به.
- نلاحظ ثقافته اللغويَّة في كتابه على الدوام؛ "تقول العرب: هاجر وآجر، فيُبدلون الألف من الهاء، كما يقولون: هراق الماء، وأراق الماء وغيره، وهاجر من أهل مصر".
- تسلسله في العرض وترتيب الروايات ترتيبًا منطقيًّا، فهو لا يسرد سردًا (نلاحظ الترتيب المنطقي في سياقته للنّسب من ولد إسماعيل - عليه السلام -).
- كان يذكر الأماكن وتاريخ الوفاة «قال ابن إسحاق: كان عمر إسماعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة، ودُفن في الحجر مع أمه هاجر»[1].
- تحديد الأماكن والمواقع الجغرافية "أم إسماعيل: هاجر: من أم العرب، قرية كانت أمام الفرما، من مصر، وأم إبراهيم: مارية سُرِّيَّة النبي، الّتي أهداها المقوقس من حَفْنٍ من كُورَةِ أَنْصِنَا".
- كان يقتبس وينسب كلّ قول إلى صاحبه "قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري".
- حريص على استخدام السّند.
- يُضيف إضافات جديدة عندما يسرد النَّسبَ "((إذا فتحتم مصر، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمّة ورحما))، فقلت - أي: ابن إسحاق - لمحمد بن مسلم الزهري: ما الرَّحِم الّتي ذكر رسول الله لهم؟ فقال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم".
- شخصيّته حاضرة على الدوام، وعندما يصدر كلّ إضافة جديدة يقول: "قال ابن هشام: فالعرب كلّها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيل أبو العرب كلّها".
- بيان الموضوع ذاته قبل الرواية ونقلها.

[1] شبكة الألوكة، http://www.alukah.net/sharia/0/72265#ixzz51QjhKzdS

- استعمل ابن هشام الكثير من عبارات حدّثني أو حدَّثنا؛ وهذا يدل على صدق الرواية عنده.

خاتمة

من خلال تناولنا للخصائص السردية في سيرة ابن هشام نلحظ ما اتسم به منهجه الفريد في السيرة النبوية ما يُميّز حضارة الإسلام على أنّها حدث تاريخي قائم بذاته، غير مقتبسة من حضارات أخرى، ولم تَقُم على أنقاض سابقة؛ ولذا فقد أقامت نُظُما متميزة بأدق التفاصيل، وأحدثت تغييرا جذريًّا في حياة البشر وفتحت أبوابًا من العلم لم تكن موجودةً من قبل، وما زال أهل الفن في جميع التخصصات يبحثون في تلك الحضارة الرائعة الّتي كانت – وما زالت – السيرة النبوية أهمّ عامل من عوامل قيامها، ودليلًا قاطعًا عليها.